أسباب زوال الحضارات وبقائها في ضوء الثقافة الإسلامية

إعداد
د . خولة بنت محمد علي العقلا
أستاذ مساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

موجز عن البحث

إن قيام الحضارات وزوالها من أعظم المباحث الفكرية والتي لها اتصال وثيق بحياة الناس وعلاقتهم ببعض أفرادا كانوا أم مجتمعات، ولقيام الحضارات أسباب، كما أن لزوالها أسبابًا أخرى، وقد اعتنى مفكرو الإسلام ببيان تلك الأسباب، والكشف عنها، واستخلاصها من نصوص القرآن الكريم.

وكان من أولئك المفكرين الذين اعتنوا بدارسة تلك الأسباب: ابن خلدون.

وقد جاء هذا البحث بدراسة أسباب زوال الحضارات وبقائها من خلال القصص القرآنية، ومن خلال التوجيهات المباشرة للأمة الإسلامية، ومن خلال ما قرره ابن خلدون.

وقد توصل البحث إلى أن الثقافة الإسلامية تتميز بأنها ثقافة شاملة متكاملة، تملك أهدافا سامية نبيلة، وتهدف إلى بناء حضارة إنسانية متكاملة من جميع الجوانب الروحية والمادية.

الكلمات المفتاحية : الحضارة ، زوال ، أسباب ، بقاء ، الثقافة

The Reasons For The Demise and Survival Of Civilizations In The Light Of Islamic Culture

Khawla Bint Mohammed Ali Aqla
Islamic Culture and Culture Department، Faculty of Advocacy and Assets of Religion، Umm Al Qura University، Saudi Arabia
E-mail : komoqla@uqu.edu.sa

Abstract :

The establishing and demising civilizations is one of the greatest intellectual topics that have close contact with the lives of people and their relationship with each other whether individuals or societies. As for establishing civilizations there are reasons، just as their demise has other reasons. The thinkers of Islam have taken care to show and reveal those reasons، and extract them from the texts of the holy Quran.

Among those thinkers who studied these causes were Ibn Khaldun.

This research came to study the causes of the demise and survival of civilizations through the Quranic stories، through the direct directions of the Islamic nation، and through what Ibn Khaldun.

The research has concluded that the Islamic culture is distinguished by being a comprehensive integrated culture that has noble and sublime goals، and aims to build an integrated human civilization from all spiritual and material aspects.

Keywords: Civilization ، Demise ، Reasons، Survival ، Culture

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فقد كانت مسألة قيام الحضارات وزوالها من المسائل والموضوعات الأساسية الشاغلة لأغلب المؤرخين والمفكرين الذين بحثوا عن أسباب قيام الحضارات السابقة وزوالها، ولقد تعددت تفسيرات المؤرخين والمفكرين حولها من عدة وجوه واعتبارات، فمنهم من رأى أن قيام الحضارات وزوالها أمر حتميّ طبيعي لا تفسير له سوى أن ذلك يعد مرحلة من مراحل حياة الحضارات، والحضارة تنمو بالتّدرّج حتى تصل إلى الذروة، ثم تنحسر ثم تضعف ثم تموت وتزول، وهذا يعني أن زوال الحضارات وقيامها شأنها كشأن الإنسان، فإن حياته تبدأ من وقت ولادته ثم يكبر بعد مروره بأهم مراحله، وهي مرحلة الشباب، ثم يصل إلى مرحلة الرجولة، وهي الذروة ثم يعود إلى الوراء، ثم العجز وصولاً إلى الموت والزوال(١).

وفي المقابل يرى بعض العلماء والمفكرين أن قيام الحضارات وزوالها هو نتيجة لعدة عوامل وأسباب اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وغيرها، وسيكون الرأي الذي سنطرحه لتفسير أسباب زوال الحضارات وقيامها من وجهة نظرية إسلامية انطلاقا من الثقافة الإسلامية؛ لأن الثقافة مصدر أصيل لمعرفة أخبار الأمم السابقة وحياة

(١) انظر: أسس النهضة الراشدة، أحمد القصص، طرابلس – لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، ١/ ١٢، قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، دار الجيل لبنان بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م ص ١٤٥٦.

الحضارات القائمة والبائدة وأحوالها، فنحن بحاجة ماسة إلى معرفة الرؤية الإسلامية الواضحة تجاه الحضارة ومقوماتها وأسباب سقوطها وزوالها، ومن هذا المنطلق يرجى أن تكون هذه الدراسة تساعد المسلم على وضع قدمه على الطريق الصحيح، خاصة في ظل هيمنة الحضارة المادية المعاصرة.

أهمية البحث:

حاجة الناس جميعا وخاصة الأمة الإسلامية إلى معرفة أسباب قيام الحضارات، وبمعرفتها تتخذ الأسباب والمقدمات التي تؤدي إلى النهوض والتقدم بالأمة، وبمعرفة أسباب زوال الحضارات تتجنب كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الزوال والفناء.

أسباب اختيار الموضوع:

قناعة الباحثة بأن الثقافة الإسلامية تستوعب الماضي والحاضر وتملك روية للمستقبل وبسبب ذلك أخرجت للعالم حضارة إنسانية راقية حكمت العالم قرورنا عديدة فعاش الناس في ظلها حياة سعيدة هنيئة فقدمت الثقافة الإسلامية للعالم خبرات وتجارب، في كافة مجالات الحياة، ودليل كاف بأن الثقافة الإسلامية تمتلك بعدا حضاريا واضحا، هذه القناعة وغيرها دفعت الباحثة إلى تتبع أسباب بقاء الحضارات وزوالها من وجهة نظرية إسلامية الثقافة الإسلامية.

أهداف البحث:

لقد توخيت من خلال كتابة هذا البحث تحقيق أهداف من أهمها ما يلي:

أ- بيان أن الأمة الإسلامية تمتلك المؤهلات للقيام بالنهوض، والفاعلية التي يمكن أن تلعب دورا لإنقاذ الحضارة الحديثة من الزوال والاندثار.

ب- توضيح ما يترتب على الانحراف في السلوك والأخلاق من الآثار السلبية والنتائج الوخيمة في حياة الأمم والحضارات.

ج- تصويب ورعاية المسيرة الحضارية للأمة الإسلامية التي نتمنى لها أن تلحق بالركب الحضاري الإنساني من جديد ولتقود العالم نحو التقدم والازدهار.

أسئلة البحث:

ما أسباب بقاء الحضارات وزوالها على ضوء الثقافة الإسلامية، ؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي عدة أسئلة فرعية كالتالي:

أ- ما دلالة هذه الكلمات التي تعد من صلب الموضوع وهي أسباب بقاء وزوال الحضارة في الثقافة الإسلامية؟

ب- ما موقف القرآن الكريم من إبراز أسباب بقاء الحضارات وزوالها من خلال القصص القرآنية؟

ج- ما موقف رواد الفكر الإسلامي، كالعالم الجليل : ابن خلدون في مسألة بقاء الحضارات وزوالها والأسباب المؤدية لذلك؟

د- ما الحلول المناسبة التي تقدمها الثقافة الإسلامية للخروج من أزمة التخلف والانحطاط التي يشهده العالم الإسلامي إلى التطور والازدهار.

منهج البحث:

قامت الباحثة بتتبع القصص القرآنية وأخبار الأمم السابقة من خلال أهم الكتب التاريخية التي تحدثت عن أخبار الأمم والحضارات السابقة وما كتبه المفكرون أمثال ابن خلدون بغية الوقوف على الأسباب والعوامل التي تلعب دورا أساسيا في قيام الحضارة أو زوالها، ولقد استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي.

خطة البحث:

اشتمل البحث على : مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة

المقدمة، وتشتمل على أهمية البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، وأسئلته، ومنهجه، وخطة البحث.

التمهيد: في التعريف بمفردات عنوان البحث ، وبيان أهمية الحضارة وعلاقتها بالثقافة ، ويشتمل على محورين:

المحور الأول: التعريف بمفردات العنوان.

المحور الثاني: أهمية الحضارة وعلاقتها بالثقافة.

الفصل الأول: أسباب زوال الحضارات في ضوء الثقافة الإسلامية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب زوال الحضارات من خلال القصص القرآنية.

المبحث الثاني: أسباب زوال الحضارات من خلال التوجيهات المباشرة للأمة الاسلامية.

المبحث الثالث: أسباب زوال الحضارات عند ابن خلدن.

الفصل الثاني: أسباب بقاء الحضارات في ضوء الثقافة الإسلامية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب بقاء الحضارات من خلال القصص القرآنية.

المبحث الثاني: أسباب بقاء الحضارات من خلال التوجيهات المباشرة للأمة الإسلامية.

المبحث الثالث: أسباب بقاء الحضارات عند ابن خلدون.

الفصل الثالث: إلى أين يتجه إنسان القرن الحادي والعشرين بحضارته المعاصرة؟

وفيه مبحثان.

المبحث الأول: أثر الخروج عن شريعة التعامل بالإحسان في زوال الحضارات.

المبحث الثاني: السنن والنواميس الإلهية لبقاء الحضارات الإنسانية.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات، ثم يليها فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

التمهيد

المحور الأول- التعريف بمفردات العنوان:

قبل الشروع في الموضوع والخوض في تفاصيله ترى الباحثة ضرورة الوقوف على أهم المصطلحات التي تتعلق أساسا بالبحث وهي كالتالي:

أولاً- الأسباب:

أ- تعريف الأسباب في اللغة:

الأسباب في اللغة: جمع سبب ، وهو كل ما يتوصل به إلى غيره[1] وقيل: هو في الأصل الحبل الذي يتوصّل به إلى الماء[2].

ب- تعريف الأسباب في الاصطلاح:

الأسباب جمع سبب ، وهو : ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم لذاته[3] فيفهم من هذا التعريف أن وجود السبب يلزم من ذلك وجود مسببه، فإذا وجدت في أي أمة أسباب التقدم والبقاء اقتضت سنة الله في الكون أن تبقى تلك الأمة وتحيا حياة متقدمة متطورة، وتلك سنة الله الكونية في جميع الأقوام والأمم، أما إذا وجدت في أمة أسباب الزوال والسقوط فنتيجة ذلك أن هذه الأمة آيلة إلى الزوال والسقوط، إلا إذا وجد مانع حال دون وقوع ذلك كالتوبة والرجوع إلى الصواب وغير ذلك.

ثانياً- زوال الحضارات:

أ- تعريف الزوال في اللغة:

---

(١) الصحاح الجوهري دار العلم للملايين، بيروت ط٤ ١٩٨٧ م ١/ ١٤٥

(٢) تاج العروس دار الفكر – بيروت ط١ ١٤١٤ هـ ٢/ ٦٥

(٣) شرح تنقيح الفصول القرافي شركة الطباعة الفنية المتحدة ط١ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ١/ ٨١

زوال الشيء أي ارتفاعه وذهابه[١]. وقيل: الزوال: الذهاب والاستحالة والاضمحلال، زال يزول زوالا[٢] زوال الحضارة تحولها من حال إلى حال، ونحو ذلك.

ب- تعريف زوال الحضارة في الاصطلاح:

زوال الحضارة هو: التغير والتحول من الأحسن إلى السيء، ومن الحركة إلى الجمود، ومن النشاط إلى الخمول، ومن الوجود إلى الفناء، وهذا في النهاية يعني فقدان جميع المقومات الأساسية للحياة[٣].

ثالثاً- بقاء الحضارات:

أ- تعريف البقاء في اللغة:

البقاء في اللغة نقيض الفناء[٤]. وقيل: هو عدم الموت[٥]، وقيل: الدوام[٦] وقيل: هو قيام الأوصاف المحمودة[٧].

ب- تعريف البقاء في الاصطلاح:

قيل هو: دوام الحياة، واستمرار الوجود[٨].

---

(١) الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، دار الكتب العلمية–بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ٩/ ١٠٤

(٣) انظر: الحضارة الغربية على شفا جرف هار، مصطفى فوزي غزال، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ص٥٤.

(٤) الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر

(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٢/ ٢٠٨

(٦) المرجع السابق ٢/ ٢٠٨

(٧) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م، ١/ ٢١٢، كتاب التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ١/ ١٦٩

(٨) الصحاح، الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠ هـ ١٩٨٧ م، ٢/ ٦٣٣

ونعني ببقاء الحضارات علو شأنها ومكانتها وحيازتها شيئًا من السلطة والسلطان، بسبب وجود أسس ومقومات الحياة تجعلها قادرة على امتلاك القدرة، وبلوغ حالة النصرة والتمكين.

رابعاً-الحضارة:

أ- تعريف الحضارة في اللغة.

الحضارة من الحضر، وهو خلاف البدو[1]، والحضارة: هي الإقامة في الحضر، وهي الانتقال من مرحلة البداوة إلى التطور والرقي الإنساني[2].

ب- تعريف الحضارة في الاصطلاح:

- الحضارة قيل هي: التفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه[3].
- وقيل هي: كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانبه ونواحيه، عقلا وخلقا، مادة وروحا، دنيا ودينا؛ فهي -في إطلاقها وعمومها- قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور، وتقلب الأزمان، وما صورت به علائقه بالكون وما وراءه[4]، ويفهم من هذا التعريف أن الحضارة تشمل على الجانبين : الروحي والمادي.

خامسا: الثقافة الإسلامية:

أ- تعريف الثقافة لغة:

قيل هي: مصدر من ثقف، أي: إذا لزمه، وقيل: ثقف صار حاذقا ماهرا فَهِمًا، فهو

---

(١) الصحاح الجوهري دار العلم للملايين بيروت ط٤ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ٢/ ٦٣٣

(٢) المرجع السابق

(٣) تاريخ ابن خلدون دار الفكر، بيروت ط٢ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ١/ ٢١٦

(٤) الإسلام والحضارة الغربية: المؤلف: محمد محمد حسين، دار الفرقان، د.ط (ص: ٦).

ثقف، وقيل سريع التعلم والتفهم[١].

ب- **تعريف الثقافة في الاصطلاح: قيل هي** "جميع السمات الروحية، والمادية، والفكرية، والعاطفية، التي تميز مجتمعا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون، والآداب، وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم، والتقاليد، والمعتقدات"[٢].

ت- **تعريف الثقافة الإسلامية** قيل هي: مجموعة المعارف والمعلومات النظرية والخبرات العملية المستمدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، التي يكتسبها الإنسان، ويحدد على ضوئها طريقة تفكيره، ومنهج سلوكه في الحياة[٣].

ومن خلال هذا التعريف ندرك أن الثقافة الإسلامية تمثل الشخصية الإسلامية الكاملة، في مناهجها، وتصوراتها، ومصادرها، فهي عامة، وشاملة تشمل الدين، واللغة، والتاريخ، والقيم، وغيرها، وأنها تتفاعل مع الحياة في ماضيها، وحاضرها، في تصورها الكلي لمستجدات الحياة، كما يحبه الله، ويرضاه[٤].

---

(١) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (٩/ ١٣١).

(٢) أضواء على الثقافة الاسلامية، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، (١/ ١٤)، ومنهج الثقافة الإسلامية لطلاب الجامعات اليمنية في ضوء حاجاتهم ومتطلبات عصر العولمة، الباحث: عبدالسلام عبده قاسم المخلافي، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة عين شمس مصر القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٥

(٣) الثقافة الإسلامية تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، مصطفى مسلم فتحي محمد الزعبي جامعة الشارقة، إثراء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م، ص: ١٨).

(٤) أزمة الثقافة في المجتمع الإسلامي المعاصر ودور التربية الإسلامية في حلها، إنصاف أكرم مندورة، جامعة أم القرى، قسم التربية، ١٤٠٦هـ، (ص: ٤٣).

المحور الثاني- أهمية الحضارة وعلاقتها بالثقافة:

أولاً- أهمية الحضارة:

تظهر أهمية الحضارة بأنها هي الغاية التي يسعى الإنسان للوصول إليها في الحياة من خلال نشاطاته الجسمية، وإبداعاته العقلية، للخروج من مرحلة التخلف والانحطاط إلى مرحلة التقدم والازدهار التي منها يتم الاحتفاظ بقدر كبير على الازدهار والرفاهية، فالحضارة في الحقيقة نقلة أساسية من مرحلة إلى مرحلة وفق معطيات أساسية في الحياة تختلف عن تلك المعهودة في المرحلة البدائية، ولذا فقد عرفها البعض بأنها: "محاولات الإنسان الاكتشاف والاختراع والتفكير والتنظيم والعمل على استغلال الطبيعة للوصول إلى مستوى حياة أفضل وهي حصيلة جهود الأمم"(١).

ومن خلال ما سبق ندرك أن الحضارة تقوم بدور كبير في الحياة فهي ذات بعد روحي ومادي يمكن التعبير عنه من خلال القيم الدينية والقاعدة الأخلاقية والفكرية، وهي بهذا المفهوم لا تخرج مضمون الحضارة عن إطار الثقافية حسب ما يراه بعض الباحثين الذين يرون أن الحضارة: "نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي"(٢)، يرى الآخرون أن الثقافة تختلف عن الحضارة لأن الثقافة هي ثمرة كل جهد أو نشاط إنساني محلي، وقد ذهب إليه كثير من الباحثين والعلماء ومنهم ابن خلدون فهو يرى أن هناك فرقا بين الثقافة والحضارة، حيث يقول: "أهل البدو أقرب إلى الخير من

(١) الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، أبو خيل شوقي، دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١٧ هـ ١٩٩٦م ص ٢٠. وانظر: دراسات في الفكر العربي الإسلامي، إبراهيم الكيلاني، وآخرون، عمان، ط/ ٣، ١٩٩٦م، ٢٤٧

(٢) قصة الحضارة ديورانت ول، ترجمة زكي نجيب محمود دار العلم للملايين ط ٢، ١٩٦٥م، ١/ ٣

أهل الحضر"[١]. ومهما يكن الخلاف يمكن القول بأن الحضارة هي تنمية وتطوير حياة الإنسان من البداوة إلى التحضر كما يرى ذلك ابن خلدون[٢]، فالحضارة هي التي توصل الإنسان إلى مرحلة الرقي المادي والمعنوي في الحياة ومن هنا تلتقي الحضارة مع الثقافة في ارتباط وثيق وهو ما سوف نفصل الحديث عنه.

ثانياً- علاقة الحضارة بالثقافة:

عند النظر في هذا التعريف للحضارة نجد أن مفهوم الحضارة يصلح أن يطلق عليها معنى الثقافة، لأن المظاهر الثقافية هي التي تتضافر جميعها في إنشاء الأسس الاجتماعية والإدارية والسياسية والعمرانية التي تعد من الأمور الحضارية، فالحضارة إذن تجسيم التراث المعنوي للثقافة، وهي بذلك تكون المرآة التي تعكس صورة المجتمع وخصائصها العامة، وبناء على ما تقدم فعلاقة الثقافة بالحضارة علاقة تلازم ولا يمكن التفريق بين الدلالتين، بينما يرى علماء آخرون ضرورة التفريق بين مدلولي كلمتي: الثقافة والحضارة بحيث يجعل الأولى خاصة بالأمور المعنويات، والثانية بالأمور الماديات، وبناء على هذا التفريق يكون معنى الحضارة أعم وأشمل باعتبار أن الثقافة هي نتاج المعرفة التي تأتي بعد التحضر والتمدن، ذلك أن المجتمعات في سبيلها التقدم والتطور فإنها تنتقل من مرحلة البداوة إلى مرحلة التحضر أو التمدن ثم يشق طريقها نحو تحصيل العلم[٣]، ولقد ذهب إلى هذا الرأي كثير من المفكرين والفلاسفة.

---

(١) تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١/ ١٥٣

(٢) المرجع السابق ١/ ١٥٣

(٣) تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١/ ١٥٣

الفصل الأول
أسباب زوال الحضارات في ضوء الثقافة الاسلامية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول
أسباب زوال الحضارات من خلال القصص القرآنية

لقد قصَّ لنا القرآن الكريم أخبار أمم وأقوام سكنوا الأرض وعمروها، والحضارات القديمة التي سادت ثم بادت وتلاشت وآلت إلى الزوال فإن زوالها لم يكن اعتباطا ولا عفويا، بل كان لأسباب وعوامل من أبرزها مخالفة السنن والنواميس الإلهية التي تحكم مسيرة الحياة سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، وهي كما يلي إيجازاً:

أولاً- الشرك بالله:

كان لقوم نوح عليه السلام حضارة قائمة أشار إليها القرآن الكريم، لكن هذه الحضارة انحرفت عن التوحيد بالله إلى الشرك وعبادة الأصنام، فأرسل الله إليهم نوحا عليه السلام فدعاهم إلى التوحيد وترك الشرك ونبذ عبادة الأصنام والأوثان، ومن خلال التأمل في هذه القصة القرآنية يتبين لنا أن الشرك بالله سبحانه وتعالى سبب لانعدام الأمن، ويؤدي إلى انتشار الخوف والرعب في النفوس، والخائف لا يمكن أن يحقق أو يبدع شيئا في الحياة، لأن الإبداع والابتكار لا يحصلان في بيئة يسيطر فيها الخوف والقلق، فإذا كان التفكير الذي يؤدي إلى الابداع والابتكار مشلولا أو ضعيفا بسبب الخوف والقلق المسيطر في النفوس الذي باعثه الشرك بالله تعالى في ألوهيته وربوبيته وفي صفاته فهذا دليل على أن الشرك خطر على طريقة تفكير الناس، فإنك تجد المجتمعات التي ينتشر فيها الشرك يفكرون بطرق خرافية ويفسرون جميع الظواهر الطبيعة تفسيرا خرافيا بدل أن يفكروا ويسخروا ما أعده الله لهم في هذه الأرض من النعم والخيرات

كالأحجار والأشجار والحيوانات لعمارة الأرض.

وهذا بخلاف المجتمعات التي ينشر فيها التوحيد تجد أفرادها يمتلكون المقومات الأساسية المادية والمعنوية للنهوض والقيام لأنهم يؤمنون بالقضاء والقدر ويرجعون الأمور إلى الله سبحانه وتعالى فيتخذون الأسباب ويسلكون الطرق المؤدية للفلاح.

ثانياً- الكفر مع الفساد في الأرض:

لقد ذكر القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحضارات سقطت وزالت بسبب الكفر مع الفساد في الأرض فعاقبها الله بالعذاب في الدنيا، ومن هذه الحضارات التي زالت بسبب الكفر كما أشارت إليها القصص القرآنية حضارة ثمود وهم قبيلة من العرب العاربة البائدة وكانوا ينحتون الجبال والأحجار يسكنون فيها يقول الله سبحانه وتعالى عنهم : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1] وكانت حضارة ثمود حضارة متقدمة مزدهرة ولقد أشار القرآن الكريم إلى شيء مما شهدتها هذه الحضارة من الازدهار والتطور يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾[2] فهم بدل أن يقابلوا هذه النعم بالشكر قابلوها بالكفر والعصيان، فأرسل الله إليهم صالحا ليعدوهم إلى عبادة الله وحده فكذبوه، ولم يكتفوا بذلك بل تجاوزوا الحد

(١) سورة الأعراف: الآية ٧٤

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٤١ – ١٤٩

حتى انتهكوا حرمة الله فعقروا ناقة صالح كفرا وعصيانا فأهلكم الله يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[1]

ثالثاً- الفساد في الأرض:

إن الفساد إذا انتشر في المجتمع فإنه يأخذ أشكالا متعددة وصورا شتى مختلفة لكنه مهما تعدد صوره وأشكاله فإن هذا المجتمع مهدد للخطر يقول الله سبحانه وتعالى في قوم لوط الذين جاوزا الحد في الفساد والاسراف: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[2] والإسراف الذي يتحدث به لوط هو مخالفة الفطرة السوية وتجاوز منهج اللّه الممثل في العلاقة القائمة بين الذكر والأنثى. وهذا الإسراف في الطاقة التي وهبهم اللّه إياها، والقوة التي أودعها الله في أبدانهم وأجسامهم لأداء دورهم في امتداد تناسل البشرية ونمو الحياة، فإذا هم يضعونها في غير موضعها لمجرد شهوة شاذة مع أن اللّه سبحانه وتعالى جعل لذة الفطرة الصادقة في الحفاظ على التناسل البشري فهم خالفوا سنة الله في التناسل البشري، والحق أن النفس إذا وجدت لذتها في نقيض هذه السنة فهذا انحراف وشذوذ وفساد فطري وأخلاقي وهو على الحياة وعلى المجتمع[3] وهذا الفساد أخطر على المجتمع حين يتحول من السلوك الفردية إلى السلوك الجماعية أو يتجاوز الطبقة السفلية لتصل إلى الطبقة العليا الحاكمة فإن أي مجتمع يكون فيه السادة الأشراف رأسا في الفساد والانحراف فهذا المجتمع

(١) سورة الأعراف: ٧٧ –

(٢) سورة الأعراف: ٨٠ – ٨١

(٣) القُرآنُ الكريمُ في مواجهةِ الجاهليَّةِ علي بن نايف الشحود ط ١ ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م ١١٨.

مهدد بالخطر[١]، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[٢] قال أهل التفسير [٣]أي: أمرنا الرؤساء والمنعمين فيها بالطاعة، وقِيل جعلناهم أمراء[٤]، فهذه الآية الكريمة دلت أن صلاح الحاكم صلاح للمجتمع وفساده فساد للمجتمع وإذا كانوا أقوياء في الخير كان سببا من أسباب سعادة الأمة وبقاءها فإذا كانوا أقوياء في الشر والفساد كان ذلك سببا في هلاك الأمة وزالها كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [٥]فالمتقون في هذا المقام مقام استعمار الأرض والسيادة في الممالك – هم الذين يتقون أسباب خراب البلاد وضعف الأمم، وهي الظلم في الحكام، والجهل وفساد الأخلاق في الدولة والأمة، وما يتبع ذلك من التفرق والتنازع والتخاذل، والصالحون في هذا المقام هم الذين يصلحون لاستعمار الأرض وسياسة الأمم بحسب استعدادها الاجتماعي[٦].

رابعاً- الكبر (قوم عاد نموذجا):

كانت حضارة عاد حضارة كبيرة وعظيمة ولقد أعطى الله قوم عاد صفات جديرة بأن يكونوا في طليعة الركب الإنسانية والمسيرة الحضارية، فقد كانوا طوال الأجسام أقوياء

(١) تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ٢/ ٣٨٠

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٦

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٦

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م)، ٥/ ٧٣٥

(٥) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥

(٦) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ٢/ ٣٨٠

البنية وكان لهم مهارات فائقة في البناء والعمران، وقد سادت وبرزت في الأرض ثم بادت واندثرت حضارتهم بعد ريح صرصر عاتية، هدمت جميع مرافق الحياة وقد أشار القرآن الكريم إلى شيء من معالم حضارتهم قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آَلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١) وكانت حضارة عاد حضارة متقدمة مزدهرة في جميع المجالات يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آَيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾(٢) والقرآن الكريم بين أنهم رغم امتلاكهم لجميع مقومات الحياة من الخيرات والنعم كما قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ* وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾(٣) أهلكم الله بسبب سبب الكبر والعناد والتطاول على الخلق، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآَيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾(٤) فالله سبحانه وتعالى وصف قوم عاد بأنهم قوم مستكبرون، ولقد قادهم الكبر إلى الظلم على العباد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (٥) كما قادهم الكبر إلى عدم قبول الحق والانقياد للطاعة لذا قال الله في حقهم: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾(٦) رغم محاولة نبيهم هود

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥

(٣) سورة الشعراء: الآية ١٣٢ - ١٣٤

(٤) سورة فصلت: الآية ١٥

(٥) سورة الشعراء: الآية ١٣٠ - ١٣١

(٦) سورة هود: الآية ٥٩

عليه السلام توجيه قوتهم وصرف وطاقتهم التي يمتلكونها إلى ما ينفع الناس، قال تعالى على لسان هود : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ * قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[1] وبذلك تكون هذه القوة قد حادت عن الهدي والتوجيهات النبوية الهودية عليه السلام فأهلكم الله يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] ودار فيهم رحى الهلاك أياما وليال متتالية قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾[3]

خامساً- أسباب اقتصادية:

لا يمكن لأي حضارة أن تستغني عن الاقتصاد وعليه فلا بد للحضارات أن تعمل جادة على ابتعاد كل الوسائل والمسببات التي تشل حركة الاقتصاد وتعطل نشاطه ولما كان الغش شكلا من أشكال الفساد الاقتصادي الذي يؤدي إلى الزوال والانهيار كان نقص الميزان والميكال الذي كان أصحاب الأيكة يمارسونها في معاملاتهم التجارية مثالا حيا للفساد الاقتصادي الذي تترب عليه مفاسد أخرى مجتمعية قال تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *

(١) سورة هود: الآية ٥٢ – ٥٣

(٢) سورة الأحقاق الآية ٢٤

(٣) سورة الحاقة: الآية ٦ – ٨

أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ* وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[1] فالمتأمل في هذه القصة على ما حكاه الله في قوم شعيب عليه السلام يجد أن الغش كان منتشرا في ذلك المجتمع وكان عادة سيئة يمارسونه في معاملاتهم المالية، والمال إذا لم يتم ساءت سياسته سياسية رشيدة ينقلب إلى وسيلة من وسائل الإفساد التي تؤدي إلى انهيار الحضارة[2]. ومن صور الفساد الاقتصادي أو المال الاحتكار بشتى صوره وأشكاله وخصوصا في أساسيات الحياة ، كالمال فإن الشح والبخل فإنهما موجبان للهلاك بنص الحديث عن عبد الله بن عمرو، قال: خطب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: "إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح: أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا" وتجنبا للردى والهلاك أرشد القرآن الكرم إلى اتقاء الشح الذي يوجب الفلاح لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3]

(١) سورة الشعراء: الآية ١٧٦ – ١٨٣

(٢) التحرير والتنويراً بن عاشوراً الدار التونسية للنشراً ١٩٨٤ هـ،٨/ ٢٤٤

(٣) سورة الحشر: الآية ٩:

المبحث الثاني
أسباب زوال الحضارات من خلال التوجيهات المباشرة للأمة الإسلامية

أولاً - انتشار الفاحشة والانغماس في ملذات الدنيا:

الإنسان مستخلفٌ في هذه الأرض ليقوم بعمارتها والاستفادة من خيراتها على ما يرضي الله وإمارة الأرض من بين الأهداف لوجود الإنسان في هذه الأرض لكن بعض الناس يغفلون عن تحقيق هذا الهدف النبيل فينغمسون في متاع الدنيا وملذاتها فينسى أنه كي يفيد ويستفيد من خيرات هذه الأرض ومن طيباتها فإن ذلك لا يتم إلا إذا عّمر ظاهره وباطنه على ما يرضي الله، وتحقيق ذلك هو غاية وجوده، وليس هدف وجوده في هذه الأرض أن ينغمس في متاع الدنيا وملذاتها وأن يقع أيسرا مقيدا للشهوات والملذات، فعن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن إعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش[1]. فانغماس الناس في الشهوات والملذات وانتشار الفواحش والمنكرات في المجتمع مظهر من مظاهر العبودية للدنيا المؤدية إلى التعاسة والهلاك والزوال وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[2] يحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم أمته من فتنة

(١) صَحِيحُ البُخَارِيّ البخاري دار الشعب – القاهرة ط ١ ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ٤/ ٤٢ باب الحراسة في الغزو في سبيل الله رقم (٢٨٨٧)

(٢) السنن الكبرى النسائي مؤسسة الرسالة – بيروت ط ١ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ٨/ ٣٠٢ ذكر الاختلاف على أبي رجاء في هذا الحديث رقم الحديث (٩٢٢٤)

الناس لأنها سبب في هلاك الأمم السابقة، وإن الأمم السابقة والحضارات الماضية حين استغرقت في اتباع الأهواء والشهوات، ماتت الفضيلة في تلك المجتمعات، وساد فيها الفوضى، وانطفأت قبسات العلم، وعمت فيها الفواحش والمنكرات وانتشرت فيها الأمراض والأوبئة وكثر فيها الجرائم والاعتداءات وغاب فيها العدل والأمان.

ثانياً- غياب العدل:

إن العدل من المبادئ السامية التي حرصت عليها الشريعة الإسلامية لضمان حياة الناس وحفظ حقوقهم على سواء دون تفريق يعود إلى الجنس أو اللون أو العرق أو الغنى أو الفقر، والعدل هو سبيل الحياة ولا حياة بدون عدل لذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1] ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا كل الحرص على تطبيق العدل دون تفريق أو تميز ولو تعلق الأمر بأقرب قريب منه فعن عائشة: أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها؟ يعني رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قالوا: ومن يجترئ إلا أسامة بن زيد حب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟! فكلمه أسامة، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "يا أسامة، أتشفع في حد من حدود الله؟! " ثم قام فاختطب، فقال: "إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها"[2] ويفهم من

(١) سورة النحل: الآية ٩٠

(٢) سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ٦/ ٣٢٦، باب في الحد يشفع فيه، رقم الحديث (٤٣٧٣)

هذا الحديث أن عدم المساوات يؤدي إلى إخلال في الأمن وإضاعة للحقوق وتفويت للمصالح وتشجيع لانتهاك الحقوق وتقصير في أداء الواجبات فإذا برزت هذه السمات في أي حضارة من الحضارات فإنها آيلة إلى السقوط والانهيار، ولذا فإن الثقافة الإسلامية عرفت مكانة العدل في الحياة فسبقت سائر الحضارات والثقافات في تقرير هذا المبدأ فإذا قام العدل في الحياة ذهب الجور إن الجور كان ظلوما.

ثالثاً - الظلم:

يعتبر الظلم سبباً من أسباب هلاك الأمم وزوال الحضارات، وتغير الأحوال يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[1] فالمتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أن ما من قرية أو دولة انشتر فيها الظلم إلا كان مصيرها الهلاك قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾[2] وبينت الآية الكريمة أن الظلم سبب في انتشار الجريمة بين الناس وهذا خطره في الحياة عظيم ولهذا نهى الشرع عن الظلم وفي الحديث عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا

(١) سورة الحج: الآية ٤٥ – ٤٨

(٢) سورة يونس: الآية ١٣

عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا)[1] ولقد نبه علماء الأمة إلى خطورة الظلم وبينوا المفاسد التي تترتب عليه يقول ابن خلدون : (الحكمة المقصودة للشّارع في تحريم الظّلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النّوع البشريّ وهي الحكمة العامّة المراعية للشّرع في جميع مقاصده الضّروريّة الخمسة من حفظ الدّين والنّفس والعقل والنّسل والمال، فلمّا كان الظّلم كما رأيت مؤذنا بانقطاع النّوع لما أدّى إليه من تخريب العمران، كانت حكمة الخطر فيه موجودة، فكان تحريمه مهمّا، وأدلّته من القرآن والسّنّة كثيرة، أكثر من أن يأخذها قانون الضّبط والحصر)[2].

رابعاً - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إذا كان الظلم خطرا على المجتمع فعدم تركه أخطر منه وما انتشر الظلم في المجتمع إلا لما غاب واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب انتشار الفساد بين الناس فأي مجتمع لا يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينتشر بين أفراده الفساد والمنكر كالظلم فيكون هذا المجتمع مجتمعا مهددا بالضياع، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه: أنه قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا

(١) صحيح مسلم، دار الجيل – بيروت، ١٣٣٤ هـ، ٨/ ١٦، باب تحريم الظلم، رقم الحديث (٦٦٦٤)

(٢) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١/ ٢٨٨. وانظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط ١، ١٤١٨هـ، ١/ ٢٩، مجموع الفتاوى، بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ٢٨/ ٦٣.

اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١]. وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)[٢] قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾[٣]فهذه الآية الكريمة دلت على أن الذين استحقوا البقاء نجوا من العذاب إنما نجوا وبقوا بسبب نهيهم عن السوء والفساد، فدل ذلك على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه من مقومات البقاء.

خامساً-الغلوّ في الدّين:

يعد من لوازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر النهي عن الغلو في الدين كان من سمات أهل الكتاب الغلو في الدين فخاطبهم الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [٤] إن الغلو ظاهرة شاذة في الحياة فهو انحراف عن الحق وتجاوز في الحدود والنبي صلى الله عليه وسلم خاطب أمته وحذرها من الوقوع في أسباب الهلاك التي وقع فيها الأمم السابقة وهي الغلوّ في الدّين فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " إيّاكم والغلوّ في الدّين، فإنّما أهلك من كان قبلكم، الغلوّ في الدينّ "[٥].

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٠٥

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م، ٤/ ٤٦٧، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، رقم الحديث (٢١٦٨)

(٣) سورة هود: الآية ١١٦

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٧

(٥) السنن الصغير، البيهقي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان، ط ١، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، ٢/ ١٩٠، باب ما يفعل المرء بعد الصفا والمروة وما يفعل من أراد الحج من الوقوف بعرفة وغيرها، رقم الحديث (١٦٨١)

المبحث الثالث
أسباب زوال الحضارات عند ابن خلدن

أ- **العصبية:**

كان ابن خلدون يقرر أن القوة الأساسية التي تتأسس عليه الدولة هي العصبية والمال، وأنهما الدعامتان الأساسيتان التي بهما تقوم الدولة وبها تبني مجدها وعظمتها لأن بالعصبية تحصل الشوكة وتجلب الولاء ويحدث النصرة وبالمال تقوم بالإصلاحات وتحقق الانجازات ويعتبر الدولة عاجزة إذا أصاب إحدى هاتين الدعامتين ضعف أو خلل، وبيّن ابن خلدون أن صراع المصالح بين الناس في الدولة أو المجتمع يؤدي إلى ضعف في العصبية فبالتي يحدث التفكك والتفرق والاختلاف وعدم الوحدة والتجانس ويظهر فيهم الأنانية والبغي على الآخر وعلى المصالح المشتركة والحفاظ عليها دون الآخر، فينشأ الصراع أو الحروب فيتجلى الفساد في المجتمع[1]، ويقرر أيضا أنه إذا تحقق العصبية تتحقق التضامن والتآزر من أجل الحفاظ على المصالح الجماعية والسعي من أجل بقائها وإذا حصل العكس حصل التناحر والتخاذل والصراع والنزاع فالعصبية عند ابن خلدون تلعب دورا كبيرا وهي تربط أساسا برابط المصلحة وهي تساهم بشكل فعال في القيام على الوحدة الجماعية.

ب- **أسباب اقتصادية:**

يعتبر الاقتصاد لبنة أساسية لبناء الدولة والمقومات الأولية لبقاء الحضارة وعمودها الفقري، فحينما يفسد الاقتصاد فإن الحضارة مهددة للسقوط والانهيار، ومن مظاهر الفساد الاقتصادي (الترف)، حيث إن الترف يلعب دورا كبيرا في تخريب السقف الحضاري وتهاوي أعمدتها ودحرها نحو السقوط والزوال يقول الله سبحانه وتعالى:

(١) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١/ ٣٦٣

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[1] ومن الترف الانغماس في الملذات والتوسع في المآكل والمشرب والملبس وهو يؤدي إلى الاسراف والفساد في المال والخلق، ويرى ابن خلدون أن الترف مظهر من مظاهر الظلم في المجتمع والظلم له أثر كبير على الحضارة وأنه سبب للسقوط والزوال وأي حضارة عرفت واشتهرت بالظلم واتسمت به فإنها تنحدر نحو السقوط وأن بساطها ستكون مطوية من الوجود[2]، ويرى أن الترف انحراف في جانب الاقتصاد وهو يصل بالناس أو الدولة إلى مستوى العبث بأموال الدولة فبذلك يولد الكراهية ويهدم الحضارة وعليه فإذا حصل الترف والانغماس في النعم والملذات ضعف الروابط بين الناس[3].

أ- قيام الدولة المستجدة:

لا شك أن الفساد السياسي والاقتصادي ومع مرور الزمن يساهم بشكل مستمر في قيام الدولة الجديدة واستلائها على الدولة القديمة، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "اعلم أن أوّل ما يقع من آثار الهرم في الدّولة انقسامها وذلك أنّ الملك عند ما يستفحل ويبلغ من أحوال التّرف والنّعيم إلى غايتها ويستبدّ صاحب الدّولة بالمجد وينفرد به ويأنف حينئذ عن المشاركة يصير إلى قطع أسبابها"[4].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٦

(٢) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١/ ٣٥٦

(٣) المرجع السابق ١/ ٤٦٧

(٤) المرجع السابق ١/ ٣٦٠

الفصل الثاني
أسباب بقاء الحضارات في ضوء الثقافة الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول
أسباب بقاء الحضارات من خلال القصص القرآنية

إن المتأمل في القصص القرآنية وفي أخبار الأمم السابقة يجد أن هذه القصص حافلة بذكر كثير من أسباب البقاء والتمكين في الحياة، والتي أرشدنا القرآن الكريم إلى الاستفادة منها، ومن أهم تلك الأسباب ما يلي:

أولاً - العلم:

إن العلم سبب أصيل من أسباب بقاء الحضارات، وقد أكدَّ ذلك القرآن الكريم في مرات عديدة من خلال كثير من الآيات، ولقد بينت القصص القرآنية التي تحدثت عن أخبار الأمم السابقة والحضارات السائدة أن العلم كان يلعب دورا كبيرا في الحياة وأنه سبب للبقاء والتمكين في الأرض، قال تعالى : : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] فطالوت ومؤهلاته للقيادة والزعامة ليست محصورة فقط على الجسم المتين بل مع العلم الذي أعطاه الله إياه وبذلك أثبت أحقيته في البقاء، وفي قصة يوسف عليه السلام الذي مكنه الله في الأرض يقول تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٧.

﴿وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [١] إن المتأمل في قصة نبي الله يوسف عليه السلام يجد أن الله أعطاه التمكين في الأرض وهو قائم على أساس العلم وبرز نبي الله يوسف في علم التخطيط قال تعالى : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[٢].

ثانياً- الأمانة:

تعتبر الأمانة من أسباب البقاء والتمكين في الأرض؛ لأنها من معاقد الترابط الجماعي فبها تنعقد الثقة بين الناس، ومن تأمل القصص القرآنية في شأن حياة الأمم والحضارات يجد أن الأمانة تجلب الاستقرار والطمأنينة في الحياة مما يترتب عليه الحيوية والنشاط في مختلف مجالات العمران، وبوجودها ترتفع الخيانة والغدر، ومتى فقدت الأمانة بين الناس انقطع حبل التوصل بينهم، يقول الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٣] ولما كانت الخلافة مهمة عظمى لا تقلد إلا للأمناء ناسب أن يتولى نبي الله يوسف عليه السلام وغيره من الأنباء ما كلفوا به، ومن ذلك ناسب أن يتولى يوسف المسؤولية أو المنصب ويسوسه سياسة حسنة يتغلب على جميع المصائب والأزمات السياسية والاقتصادية.

ثالثاً-الأخذ بالأسباب:

جميع الحضارات البشرية يمكن أن تحصل لها الاستمرار والبقاء إذا أخذت

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢٢.

(٢) سورة يوسف: الآية ٥٥.

(٣) سورة يوسف: الآية ٥٤ – ٥٦

بالأسباب المؤدية لذلك، فقضية الأخذ بالأسباب قضية أساسية جوهرية في الفلاح؛ لأن التقدم والتطور يتطلبان بذل الجهد والتعامل مع الأسباب بما يقتضيه الحال، ففي قصة ذي القرنين نجد أن قضية الأخذ بالأسباب من المعالم الأساسية التي برزت في هذه القصة يقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ (١) وقد استطاع ذو القرنين بتكين من الله بعد أن سلك الأسباب الموصلية إلى الغاية من تعمير الأرض ويقول سبحانه وتعالى : ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾(٢)

والمتأمل في هذه القصة يلحظ أن ذا القرنين يسير في حركة دائمة مستمرة بعد أن اتخذ جميع الأسباب كما يلحظ إن مبدأ الأخذ بالأسباب من المبادئ والقيم الأساسية التي اعتنى بها في تعامله مع جميع الأحداث والوقائع، حتى تمكن من غرس هذه القيم والمبادي في نفوس كل من كان تحت أمره.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٨٤ – ٨٥

(٢) سورة الكهف: الآية ٨٦ – ٩٥

المبحث الثاني
أسباب بقاء الحضارات
من خلال التوجيهات المباشرة للأمة الاسلامية

أولاً - الحرية:

تُعد الحرية من عوامل التمكين والبقاء، ومن أجل ذلك كانت مقصدا من المقاصد الأساسية للحياة وحرصت الشريعة الإسلامية على إتاحة الحرية للناس وفق ضوابط شرعية، وأي أمة تفقد الحرية فهي في الحقيقة تفقد القيمة الحقيقية للإنسان، والحرية إذا وجدت في أية جماعة أو أمة فإن معنى ذلك أنها قادرة على الإنتاج والعطاء والتفكير والإبداع، ولذا فالشريعة الإسلامية حرصت كل الحرص على ضمان الحريات للناس، ومن ذلك: حرية الدين والاعتقاد ومنع الاضطهاد الديني ولو بالقتال حتى يكون الدين كله لله ومنع الإكراه على الدين[1].

ثانياً - الشجاعة:

إن الشجاعة أمر مهم في الحياة فبها تتخذ القرارات وتنفذ الأوامر، وبها تتحقق الحياة الطيبة، ومدافعة الأعداء، وتسليم الديار بالهزيمة والفرار[2].

(١) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ٣/ ٣٣

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ٢/ ٣٦٥

المبحث الثالث
أسباب بقاء الحضارات عند ابن خلدون

يُعد ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، وقد تطرق إلى عدة موضوعات اجتماعية مهمة وأبدع فيها إبداعا كبيرا، ومن الموضوعات المهمة التي تحدث عنها بشكل واضح شامل هو مفهوم الحضارة، كما تحدث عن مراحلها ومعالمها، وتطرق إلى ذكر أسباب قيامها وعوامل نهوضها، وذكر من أهم تلك العوامل والأسباب ما يلي:

أ- العوامل الطبيعة الجغرافية:

يرى ابن خلدون أن الطبيعة الجغرافية من العوامل الأساسية والأسباب الرئيسية في بناء الحضارة وقيامها، كما يرى أن للعوامل الطبيعية أثرا كبيرا في تحديد الصفات والأشكال البشرية، وأن للعوامل الطبيعة دورا كبيرا في تحديد طبيعة حياة الناس من حيث المسكن والملبس وما يأكلونه، بل أكثر من ذلك حيث إلى أن مسألة النبوات وإرسال الرسل والأنبياء له علاقة وطيدة بهذه العوامل الطبيعة الجغرافية[1].

ب- الانتقال من مرحلة البداوة إلى مرحلة التحضر:

يرى ابن خلدون أن المجتمع يضم فئات من الناس المختلفة، وأن الاختلاف بينهم يرجع سببه إلى اختلاف مصدر عيشهم المختلف، فالإنسان الذي يعيش في الحضر فإن حياته يختلف عن الذي يعيش في البادية، لكنه مهما يكن من أمر فإن الانتقال من طور البداوة إلى طور الحضر من الأسباب والعوامل المهمة التي تساهم في قيام الحضارة ونهوضها؛ لأن انتقال أهل البادية إلى الحضر انتقال من مرحلة البداوة إلى التحضر، فالإنسان يتجه إلى الأعمال الصناعية والتجارية، بعد ترك مزاولة الأعمال البدائية، مثل

(١) تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م، ١/ ٤٠١

الزراعة، حيث يرى ابن خلدون أن الصناعة والتجارة مرحلة متطورة من المراحل الحياة البشرية، ودليل على التحضر والتمدن، إذ إن التجارة والصناعة عملية مركبة تحتاج إلى جهد بدني وإلى جهد عقلي بينما الزراعة لا تحتاج إليهما بشكل كلي[١].

ج- السلطة أو الحاكم:

طالما أن الاجتماع البشري لا بد له من نظام قائم بذاته يقوم بمنع التعدي، وقانون يسير عليه الناس، وشريعة يرجعون إليها في حل النزاعات، فإن النظام أو السلطة هو من يضبط الأمور ويحفظ الحقوق والواجبات، ويضمن المصالح العامة، فبدون ذلك فالناس يعيشون في فوضى وحروب ونزاعات مستمرة، ويرى ابن خلدون أن الحياة البشرية لا بد له من حاكم ينظم شؤون الحياة انطلاقا من الأحكام العقلية والنقلية ويكون بذلك نظام الحكم قائم على دعامتين أساسيتين هما الدين والدولة[٢].

د- الثروة والمال:

في نظرية ابن خلدون رحمه الله يُعد الثروة والمال عصب الحياة ولا يستقيم الحياة بدونهما، وبالتالي لا تستطيع الحضارة أن تكون قويا مع غياب هذه العنصرين المهمين ولا ينالان إلا بالعمل والكسب والانتاج وليس بالكسل والخمول والسحر والشعوذة، يقول ابن خلدون: "إنّما يكون بالسّعي في الاقتناء والقصد إلى التّحصيل فلا بدّ في الرّزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه. قال تعالى: ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ ﴾[٣].

(١) المرجع السابق ١/ ٤٠١

(٢) تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١/ ٣٧٧

(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٧

والسّعي إليه إنّما يكون بأقدار الله تعالى وإلهامه، فالكلّ من عند الله؛ فلا بدّ من الأعمال الإنسانيّة في كلّ مكسوب ومتموّل"[1].

هـ- العدل:

العدل هو الأساس الذي قامت عليه الحضارات، فأي حضارة يغيب فيها العدل ويكثر فيها الظلم والجور فإن ذلك يفضي إلى الانكفاف والتراجع عن الانتاج والعمل، خاصة إذا أدرك المرء أن جهوده ونشاطه وحركته مصيره إلى النهب والسرقة، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "اعلم أنّ العدوان على النّاس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من أنّ غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السّعي"[2]، فإذا انتشر الظلم وعم الجور قعد الناس على الكسب وانقبضت أيديهم.

و- العلم:

يعتبر ابن خلدون أن التربية والتعليم عاملان مهمان لقيام الحضارة؛ لأن التربية والتعليم يدفع الإنسان إلى التفكر والإبداع، فكلما تقدم العلم أدى بدوره إلى التطور والتقدم والعكس صحيح.

(١) تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١/ ٤٧٧

(٢) المرجع السابق ١/ ٣٥٣

الفصل الثالث
إلى أين يتجه إنسان القرن الحادي والعشرين بحضارته المعاصرة؟

وفيه مبحثان :

المبحث الأول
أثر الخروج عن شريعة التعامل بالإحسان في زوال الحضارات

إن شريعة التعامل بالإحسان في الثقافة الإسلامية الحنيفة يعتبر أصل العلاقة بين الإنسان وبين ربه، كما أن الإحسان هو الرابط الذي يربط أفراد المجتمع، ولما كان العمل أصلاً في بقاء الفرد وأصلاً في قيام الأمة، فكذلك الإحسان أصل في رقي الفرد، ونهوض الأمة وبذلك ناسب أن يتلازم العمل مع الإحسان، لأن الاحسان يصون المجتمع من التصدع عن طريق انتهاك الحقوق والحرمات والتعدي على الأنفس والأموال والأعراض، وإذا غاب مبدأ الاحسان في المجتمع فإن الناس يعيشون حياة مختلة.

أولاً - أثر الخروج عن شريعة التعامل بالإحسان في مجال الاقتصاد:

أ- عدم الإنفاق:

إن تحقيق مبدأ الاستخلاف يقتضي الإنفاق وبذل المال لعمارة الأرض يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[1]، والانفاق سبيل إلى الانتفاع بالمال واستثماره إلى ما يعود نفعه للناس، وهذا الانتفاع يكون في حدود الاعتدال دون سرف أو تقتير، ومن خلال الإنفاق يتم تقديم العون والمساعدة على الفقراء والمساكين وذوي الحاجات، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

(١) سورة الحديد: الآية ٧

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾[1] والامتناع عن الإنفاق يحول دون تحقيق الهدف الأساسي لوجود الإنسان في هذا الكون ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ︀ ︁ ︂ ︃ ︄ ︅ ︆ ︇ ︈ ︉ ︊ ︋ ︌ ︍ ︎ ️ ︐ ︑ ︒ ︓ ︔ ︕ ︖ ︗ ︘ ︙ ︚ ︛ ︜ ︝ ︞ ︟ ︠ ︡ ︢ ︣ ︤ ︥ ︦ ︧ ︨ ︩ ︪ ︫ ︬ ︭ ︮ ︯ ︰ ︱ ︲ ︳ ︴ ︵ ︶ ︷ ︸ ︹ ︺ ︻ ︼ ︽ ︾ ︿ ﹀ ﹁ ﹂ ﹃ ﹄ ﹅ ﹆ ﹇ ﹈ ﹉ ﹊ ﹋ ﹌ ﹍ ﹎ ﹏ ﹐ ﹑ ﹒ ﹓ ﹔ ﹕ ﹖ ﹗ ﹘ ﹙ ﹚ ﹛ ﹜ ﹝ ﹞ ﹟ ﹠ ﹡ ﹢ ﹣ ﹤ ﹥ ﹦ ﹧ ﹨ ﹩ ﹪ ﹫ ﹬ ﹭ ﹮ ﹯ ﹰ ﹱ ﹲ ﹳ ﹴ ﹵ ﹶ ﹷ ﹸ ﹹ ﹺ ﹻ ﹼ ﹽ ﹾ ﹿ ﺀ ﺁ ﺂ ﺃ ﺄ ﺅ ﺆ ﺇ ﺈ ﺉ ﺊ ﺋ ﺌ ﺍ ﺎ ﺏ ﺐ ﺑ ﺒ ﺓ ﺔ ﺕ ﺖ ﺗ ﺘ ﺙ ﺚ ﺛ ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ ﺣ ﺤ ﺥ ﺦ ﺧ ﺨ ﺩ ﺪ ﺫ ﺬ ﺭ ﺮ ﺯ ﺰ ﺱ ﺲ ﺳ ﺴ ﺵ ﺶ ﺷ ﺸ ﺹ ﺺ ﺻ ﺼ ﺽ ﺾ ﺿ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾ ＀ ！ ＂ ＃ ＄ ％ ＆ ＇ （ ） ＊ ＋ ， － ． ／ ０ １ ２ ３ ４ ５ ６ ７ ８ ９ ： ； ＜ ＝ ＞ ？ ＠ Ａ Ｂ Ｃ Ｄ Ｅ Ｆ Ｇ Ｈ Ｉ Ｊ Ｋ Ｌ Ｍ Ｎ Ｏ Ｐ Ｑ Ｒ Ｓ Ｔ Ｕ Ｖ Ｗ Ｘ Ｙ Ｚ ［ ＼ ］ ＾ ＿ ｀ ａ ｂ ｃ ｄ ｅ ｆ ｇ ｈ ｉ ｊ ｋ ｌ ｍ ｎ ｏ ｐ ｑ ｒ ｓ ｔ ｕ ｖ ｗ ｘ ｙ ｚ ｛ ｜ ｝ ～ ｟ ｠ ｡ ｢ ｣ ､ ･ ｦ ｧ ｨ ｩ ｪ ｫ ｬ ｭ ｮ ｯ ｰ ｱ ｲ ｳ ｴ ｵ ｶ ｷ ｸ ｹ ｺ ｻ ｼ ｽ ｾ ｿ ﾀ ﾁ ﾂ ﾃ ﾄ ﾅ ﾆ ﾇ ﾈ ﾉ ﾊ ﾋ ﾌ ﾍ ﾎ ﾏ ﾐ ﾑ ﾒ ﾓ ﾔ ﾕ ﾖ ﾗ ﾘ ﾙ ﾚ ﾛ ﾜ ﾝ ﾞ ﾟ ﾠ ﾡ ﾢ ﾣ ﾤ ﾥ ﾦ ﾧ ﾨ ﾩ ﾪ ﾫ ﾬ ﾭ ﾮ ﾯ ﾰ ﾱ ﾲ ﾳ ﾴ ﾵ ﾶ ﾷ ﾸ ﾹ ﾺ ﾻ ﾼ ﾽ ﾾ ﾿ ￀ ￁ ￂ ￃ ￄ ￅ ￆ ￇ ￈ ￉ ￊ ￋ ￌ ￍ ￎ ￏ ￐ ￑ ￒ ￓ ￔ ￕ ￖ ￗ ￘ ￙ ￚ ￛ ￜ ￝ ￞ ￟ ￠ ￡ ￢ ￣ ￤ ￥ ￦ ￧ ￨ ￩ ￪ ￫ ￬ ￭ ￮ ￯ ￰ ￱ ￲ ￳ ￴ ￵ ￶ ￷ ￸ ￹ ￺ ￻ ￼ � ￾ ￿ ﷻ[2]؛ لأن من لوازم الاستعمار الانفاق، ولذا اعتبر القرآن الكريم عدم الانفاق سبيلاً إلى الهلاك، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[3].

ب- تعطيل دور الزكاة في المجتمع:

تُعدّ الزكاة عاملاً من أهم عوامل الترابط في المجتمع، وفي الزكاة إحسان إلى الخلق بالمال والنفع ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وقضاء حاجة المحتاجين، فإذا ترك الناس الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين والضعفاء عاش الناس في نظام حياة اجتماعي مختل غير متوازن، يغيب فيه مبدأ التضامن والتكافل والتراحم والتعاطف والألفة والمحبة والاحسان، ومن وجوه الإحسان في الزكاة المسارعة إلى إخراجه فورا ودفعها لأهلها ومستحقيها خالية من كل العيوب والشبهات ومن المن والأذى، وإذا ترك الناس إخراج الزكاة حل في المجتمع البلاء والفساد، فعن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا: (إذا فشى في هذه الأمة خمس حل بهم خمس إذا أكلوا الربا... وإذا ضيعت الزكاة ماتت البهائم وإذا كثر الزنا كان الموت)[4]، فيفهم من هذا أن أي مجتمع تهتم عامته وأكثريته

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧

(٢) سورة هود: الآية ٦١

(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٥

(٤) الفوائد تمام الرازي مكتبة الرشد – الرياض ط ١ ١٤١٢هـ ٢/ ٢٤٥ رقم الحديث (١٦٤٣)

على إخراج الزكاة وتقديمه إلى المحتاجين سيكون مجتمعا يشهده الرخاء والثروة والزيادة في الإنتاج، كما أن في إخراج الزكاة أعظم فائدة لنماء الأموال والقضاء على النازعات والشحناء التي تشل النشاط الاقتصادي وتوصل البلدان إلى الخراب والدمار.

ثانياً- أثر الخروج عن شريعة التعامل بالإحسان في مجال التعامل بين أفراد المجتمع:

إن المعاملة الحسنة يجب أن تنبني على قواعد وأسس وتصورات عامة تسير عليها الحياة الاجتماعية، وهذا القواعد وتلك الأسس تؤثر في علاقات الناس بعضهم ببعض في جميع الجوانب، ونذكر منها ما يلي:

أ- الإحسان إلى الوالدين:

يجب الإحسان إلى الوالدين؛ لأنهما السبب المباشر في وجود الإنسان في هذه الحياة، والإحسان إليهما اعتراف بالجميل، وحفظ للفضل، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (١)، والإحسان إليهما مطلوب سواء كان الإحسان: بالنفقة عليهما، أو الاستغفار والدعاء، أو قضاء الديون والنذور، أو إنفاذ عهدهما من بعدهما، أو صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، أو صلة أهل ودهما، وإن الوالدين يمثلّان حاضر الأمة ومستقبلها، وعدم الإحسان إليهما يعتبر تحللاً في القيم الأخلاقية وتفككاً في الروابط الأسرية، فتتدهور العلاقات الاجتماعية وتحدث في المجتمع أنواع من الشقوق والنزاع والاختلاف وينعدم فيه التفاهم والتعاون والتواصل وهذا كله يعد من الأسباب المفضية إلى ظهور البلاء والمصائب في المجتمع.

(١) سورة لقمان: الآية ١٤

ب- الإحسان إلى الجار:

إن من أسباب الأمن والسعادة في المجتمع المحافظة على حسن الجوار، فإن ذلك يؤدي إلى الأمن والاستقرار في المجتمع، ومن خلال الإحسان إلى الجار يحصل التعاون بين أفراد المجتمع، ويقوى الترابط الاجتماعي داخل المجتمع، وإذ حصل الإحسان فإن ثقة الناس تنعقد بين الجيران في حفظ الأسرار، وصيانة الأعراض، ومن صور الإحسان: إقراض الجار، وإعانته، وعيادته عند المرض، وتهنئته، ومواساته، والإهداء إليه، وعدم الاستطالة عليه بالبنيان، واحترامه، والسلام عليه، وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، وكف الأذى عنه، وعظته بالحسنى، والدعاء له، وعظة الكافر بعرض الإسلام عليه وترغيبه فيه، ووعظ الفاسق بالرفق به، والستر عليه.

ت- الإحسان إلى اليتيم:

يعتبر اليتيم فرداً ضعيفاً في المجتمع بفقده الوالد الحاني والمربي، فهو بحاجة ماسة إلى من يعتني به والوقوف إلى جانبه، وبناءً على ذلك فإن على المجتمع أن يتولى مسؤولية حمياته على أساس التكافل الاجتماعي حتى يحصل على كافة حقوقه من حفظ ماله وصيانته وتنميته، وألا يقترب من ماله إلا بالتي هي أحسن، وبما يعود بالنفع إليه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾[1] وبذلك يتم رد المال كاملا ناميا، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾[2] وإذا لم يجد اليتيم ذلك في مجتمعه

(١) سورة النساء: الآية ٥

(٢)سورة الأنعام: الآية ١٥٢

عاش يعاني من الضياع والتشرد والتهميش والاستغلال، وهذا يعني أن فراد أو أفراد في المجتمع حرموا حق الإفادة والاستفادة في الحياة.

ثالثاً - أثر الخروج عن شريعة التعامل بالإحسان في مجال الحكم والقضاء:

إن حب التغلب والاستعلاء على الناس قد يدفع البعض إلى الاعتداء على الآخر في ماله أو في بدنه أو في نفسه، والحفاظ على حياة الناس أمر مطلوب، وإن من وجوه الحفاظ على حياة الناس فرداً وجماعةً إقامة القصاص لردع الناس عن الاعتداء في النفوس البريئة، فكل من سولت له نفسه أن يقتل عمدا وعدوانا فإنه متى عرف أنه سيقتل قصاصا ارتدع عن القتل، ويتوقف الناس عن الاعتداء على النفوس البشرية، فيحيى الناس آمنين مطمئنين، ومن أجل ذلك شرعت الشريعة الإسلامية القصاص حفاظا على النفوس قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1].

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩

المبحث الثاني
السنن والنواميس الإلهية لبقاء الحضارات الإنسانية

مما يجب أن يتقرر في الأذهان أن بقاء الحضارات ليس غايةً في حد ذاته، بل الغاية هي عمارة الأرض كما يريده الله، وما من أمة أو حضارة إلا وهي خاضعة للقوانين الكونية والسنن الإلهية التي لا تحيد عنها أي أمة من الأمم.

أولا- تعريف السنن الإلهية:

معرفة السنن والنواميس الإلهية شيءٌ مهمٌ ومفيدٌ للإنسان فرداً كان أو جماعةً؛ لأن من خلال معرفته بتلك السنن والنواميس يتم التحرك والعمل على وفقهما، ولذا ترى الباحثة ضرورة التعريف لمدلولي الكلمتين: السنن والنواميس، قبل الخوض في ذكر تلك الأسباب والسنن.

- **تعريف السنن في اللغة:**

السنن في اللغة: هي الطريقة والسيرة سواء كانت محمودة أو مذمومة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سن في الإسلام سنة حسنة... ومن سن في الإسلام سنة سيئة)[1]، ويقصد بالسنة هنا النهج والطريقة.

- **تعريف السنن في الاصطلاح:**

السنة في الاصطلاح تطلق ويراد بها عدة معانٍ كالتالي:

حيث يراد بها القوانين التي أودعها الله في هذا الكون وأخضعه لها بما فيه مخلوقات

(١) صحيح مسلم، دار الجيل – بيروت، ١٣٣٤ هـ، ٢/ ٨٦، باب من سن في الإسلام سنة حسنة رقم الحديث(٢٣١٤).

لتكون تلك السنن حاكمة لكل صغيرة وكبيرة[١].

ومقتضى هذا التعريف والمقصود منه: محاولة التعرف والوقوف على الطرائق الإلهية الجارية على الأمم والحضارات، بناءً على الأسباب والمسببات وفق حكمة إلهية[٢].

وعند النظر إلى كلام أهل التفسير وبين المعنى اللغوي نجد أن معنى السنن لا يخرج عن معنى الطريقة والنهج، وسنن الله حاكمة لأحوال الأمم والحضارات منذ بدء قيامها إلى زوالها ونذكر بعضا منها في النقطة الثانية.

ثانياً - بيان السنن الإلهية في بقاء الحضارات:

أ- البقاء مرتبط بالإصلاح في الأرض:

يعتبر الإصلاح في الأرض من أهم أسباب التمكين والبقاء، ولا يمكن تحققهما إلا بوجود مصلحين يقومون بدور الإصلاح بشكلٍ دائمٍ ومستمرٍ دون توقفٍ؛ ذلك لأن الطبائع البشرية جلبت معها الظلم والجهل والاعتداء والناس، ولا يستقيم حياتهم على الحق والهدى إلا مع وجود مصلحين يرشدون إلى الحق في شؤون دينهم ودنياهم، ولكي تكون للحضارة بقاءٌ واستمرارٌ وقوةٌ وسلطانٌ فلا بد أن يوجد في المجتمع صالحون ومصلحين، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن أبو جعفر الطبري مؤسسة الرسالة ط١ /٧/ ٢٢٧

(٢) بناء المجتمع الإسلامي نبيل السمالوطي دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ط، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م /١/ ٧

تَعْلَمُونَ ﴾[1].

ب- **سنة التدافع:**

التدافع من السنن العامة لبقاء الأصلح أو الأفضل، وهو ما يعرف بلغة العصر (التنازع للبقاء) ويرى أصحاب هذه النظرية أن الحرب طبيعة في البشرية، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾[2] فقد أفادت الآية الكريمة أن عدم فساد الأرض يقتضي وجود التدافع والتنازع والمغالبة، وأنه إذا حصلت المدافعة والمغالبة يكون البقاء للأمثل، ويعزز هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[3].

يقول محمد رشيد رضا: "لما ذكر تعالى من الأحكام ما ذكر في الآيات السابقة، قفى عليه بذكر بعض أخبار الماضين لأجل العظة والاعتبار بما تتضمنه الوقائع والآثار، كما هي سنة القرآن، في تنويع التذكير والبيان، بل الانتقال هنا إنما هو من الأحكام مسرودة مع بيان حكمتها، والتنبيه لفائدتها، إلى حكم سبقته حكمته، وتقدمته فائدته، في ضمن

(١) سورة نوح: الآية ١ – ٤

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥١

(٣) سورة الحج: الآية ٣٩ – ٤١

واقعة مضت زيادة في البصيرة ومبالغة في الحمل على الاعتبار، وهو حكم القتال في سبيل الله، ويتلوه حكم بذل المال في سبيله، الأحكام السابقة تتعلق بالأشخاص في أنفسهم وبيوتهم، وهذان الحكمان في أمر عام يتعلق بالأمم من حيث حفظ وجودها، ودوام استقلالها، بمدافعة المعتدين عنها، وبذل الروح والمال في حفظ مصالحها، وتوفير منافعها; ولذلك كان الأسلوب أشد تأثيرا، وأعظم تذكيرا; لأن الإشارة في سياق التذكير بمنافع الشخص ومصالحه في نفسه وفيمن يتصل به كافية للتذكر والعمل بما يوعظ به لموافقة ذلك لهواه، فلها من النفس عون لا يغيب، ووازع لا يعصى، وأما المصالح العامة فإنه لا يفطن لها ولا يرغب فيها إلا الأقلون، فالعناية بالدعوة إليها يجب أن تكون بمقدار بعد الجماهير عنها، فمن ثم جاءت هذه الآيات ببيان أجلى وأسلوب أفعل وأقوى"[1].

ثالثاً- تعريف النواميس الإلهية:

من الحقائق الجوهرية والأساسية في تاريخ الحضارات في سيرها وبقائها، وانتقالها من حال إلى حال أنها تسير وفق النواميس التي جعله الله لها، فحينما يدرك الإنسان أن للكون قوانين ونواميس تحكمه فإنه يستطيع أن يتعامل مع هذا العالم، ومن ثم يجعل جميع أعماله ومواقفه منسجمة وملائمة لقوانين ونواميس هذا الكون، والتي تقتضيها طبيعة الحياة، ويتخذ الإنسان الأسباب التي توصل من سلكها إلى نتائجها المحتومة فلا تبقى أمة أو حضارة على الدوام والاستمرار إلا بقدر ما أعدت لنفسها من وسائل الاستمرار وأسباب البقاء على مقتضى هذه النواميس التي سوف نعرفها قبل الخوض في

(١) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ٢/ ٣٦٠

بيان هذه النواميس:

- **تعريف النواميس في اللغة:**

الناموس: صاحب سر الرجل الذي يطلع على سره وباطن أمره، ويخصه بما يستره عن غير[1]، ولأجل ذلك سمي جبريل عليه السلام بالناموس[2]. وهذا التعريف اللغوي فيه ما يدل أن الناموس شيء مستتر.

- **تعريف النواميس في الاصطلاح:**

النواميس: هي السّنن الّتي تضعها الحكماء للعامّة لوجه من المصلحة[3].

وهذا التعريف يفيد أن النواميس هي قوانين وأحكام تحكم الكون، وتفرض على الإنسان أن يستثمره استثمارا جيدا صالحا، ويسير وفق هذه القوانين، وأي مخالفة لتلك القوانين الإلهية الكونية يجلب الضرر على الإنسان.

رابعاً- بيان النواميس الإلهية لبقاء الحضارات:

- **الدورة الحضارية:**

إن المتأمل في تاريخ الأمم وحياة الحضارات يدرك أن تاريخها يخضع لنظام دوري وبشكل تعاقبي، وليس هناك حضارة تملك حق السيادة والريادة إلى الأبد، بل كل حضارة آيلة إلى الزوال والسقوط ثم تنوبها حضارة أخرى جديدة، وهكذا تدور الأمور بشكل تعاقبي، ولذا لم تسلم أمة من الأمم أو حضارة من هذا الدوران الذي يجرى على جميع الحضارات، فهناك حضارات قديمة عظيمة سادت فترة من الزمن ثم بادت،

(١) تهذيب اللغة، الهروي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ١٢/ ١٦

(٢) مجمل اللغة لابن فارس، ابن فارس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ١/ ٨٨٦

(٣) كتاب الأفعال، الصقلي، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ٣/ ٢٦١

وإدراك هذا المعنى أي الدورة الحضارية تدفع الأمم والحضارات إلى التسابق والتنافس نحو كل ما من شأنه يفيد البقاء والاستمرار والفرار عن كل ما من شأنه يؤدي إلى الزوال والفناء، قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (١) فإذا تقرر ذلك في النفوس استطاعت كل أمة أو حضارة أن تحدد موقعها ومكانتها من الدورة الحضارية وسهل عليها أن تتخذ الأسباب المناسبة للبقاء والاستمرار أو أن تسلك الطرق التي تجعلها تلتحق بالركب الحضاري.

- **الحق أصل جميع الأشياء:**

الحق في جميع الأشياء ثابت لا يتغير، فالحق هو سر وجود هذا الخلق ، قال تعالى : ﴿ فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ (٢)، والوجود قائم أساسا على تحقيق معنى الحق، ولو عمل الناس على خلاف معنى الحق في كل شيء واتبعوا الأهواء والشهوات لم يكن هناك أي استقرار ولا أمن، ولما انتظمت حياة الإنسان، ولم يكن سبيل لمعرفة الحق والباطل والتمييز بين الخبيث و الطيب، وبذلك تسود الفوضى في المجتمع، ويشير القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (٣)

- **تسخير الأرض وعمارتها ليس حكرا على أحد:**

يعتبر العدل الإلهي الشامل مظهراً من مظاهر الألوهية لله سبحانه وتعالى، وهو عامل للأمم والحضارات في كل زمان ومكان، فالنواميس الإلهية قاضية على أن الجميع متساوون أمام القانون الإلهي، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٠

(٢) سورة يونس: الآية ٣٢

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٧١

عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[1] فالله سبحانه وتعالى أودع في الأرض كل ما يصلح للحياة فيها من المنافع، والمعادن، والأنهار، والعيون، والحبوب والثمرات، والأقوات، وأصناف الحيوانات، وغير ذلك وما يحتاج إليه الإنسان لتسخير الأرض والتمتع من خيراتها، ويستوي في هذا التسخير البر والفاجر، والصالح والفاسق والمؤمن والكفار وجعل استفادتهم منها على قدر جهودهم وعلمهم، ولكن هذا التسخير إنما يتحقق بجهود عضوية وعقلية يبذلها الإنسان، في صورة عمل منتج، وعليه فكل من اتبع هذه النواميس وبذل جهدا سوف يصل إلى تحقيق غاياته من تسخير الأرض له[2].

- **التحذير والتهديد:**

الأمة إذا انحرفت عن جادة الصواب وظهر في المجتمع المخالفات والمعاصي اقتضت سنة الله ونواميسه في الكون إنذار هذه الأمة وتهديدها بأنواع من الابتلاءات، وهذه الابتلاءات عند التأمل فيها نجد أنها في الحقيقة تحذيرات وتهديدات؛ لكي تغير واقع حياتها وتصحح أوضاعها، وتستقيم على الطريق الصحيح، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[3]

---

(١) سورة هود: الآية ٦.

(٢) دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق السعدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، ٢/ ٨٤٠

(٣) سورة يونس: الآية ١٣

■ **الابتلاء لا بد منه لرفع التحدي وتصحيح المسار:**

الابتلاء يقع على الفرد والجماعات والمجتمع والأمم والحضارات في جميع مراحل حياتها وفي كافة مجالاتها، فالسنن الإلهية العظيمة القوية سلطت على سائر الأمم والأقوام بالبأساء والضراء وبالحسنات والسراء، ولفظ البأساء والضراء شامل لجميع أنواع الشر، كالفقر والخوف والجوع والمرض، وعموم الفساد وأنواع الفتن والشدائد وغيرها، ولفظ الحسنات والسراء يدخل فيه كل ما هو محبوب للإنسان ومرغوب إليه من الخير والحسنة، كالسعة في الرزق والصحة في الأبدان، والأمن في الأوطان، واستقامة الأحوال، وغير ذلك، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى ابتلاءُ الأمم والأقوام في حياتها، فيصرف عليهم الأحوال ويقلب عليهم الأزمان ويسلط عليهم الأحداث حتى تتجلى فيها حكمة الله سبحانه وتعالى، فيتبوا إلى الله ويصلحوا ما فسد، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [2] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، ومن خلال هذه الآيات ندرك الحياة في طبيعتها، وأنها مليئة بمظاهر الابتلاء والامتحان، يقول الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾[3] والتمكين والبقاء

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٤

(٢) سورة الزخرف الآية: ٤٨

(٣) سورة الملك: الآية ١ – ٢

مرتبط ارتباطا وثيقا بالامتحان والابتلاء، فلقد جرت سنة الله تعالى ألا يُمكِّن لأمة إلا بعد أن تجتاز بمراحل الاختبار والامتحان المختلفة، وإلا بعد أن ينصهر مع الوقائع والأحداث ويتقلب معها، فعندها تميز الخبيث من الطيب، والجيد والرديء فمن خلال الابتلاء تحدث العمارة، وعندما يسلك الإنسان السلوك الأمثل لمواجهة الابتلاء تحدث الاستجابة وعندها يجمع الإنسان كامل قواه المدخورة فتستيقظ وتتجمع لتعود كما كانت من قبل.

- **التغيير مسؤولية المجتمعات:**

ومن النواميس الإلهية التي تحكم هذه الحياة أن الله عز وجل لا يغير حال قوم أو أمة حتى يبدلوا ويغيروا ما بأنفسهم، فلن يحدث التغيير إلا إذا حصلت أسباب التغير ومقدماتها سواء كان تغييرا في خير، أو تغييرا في انتكاس، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1] فإن التغيير من حال التخلف والانهيار إلى حال التقدم والازدهار لأي أمة أو حضارة ما يتوقف أولا بالجهد والوسع، يبذلها تلك المجتمعات للوصول إلى التقدم، والعكس أيضا صحيح. فالتغيير الحقيقي في المجتمع لا يتصور دون حصول التغيير الملائم في النفوس.

(١) سورة الرعد: الآية ١١

الخاتمة

إن الثقافة الإسلامية تتميز بأنها ثقافة شاملة متكاملة، تملك أهدافا سامية نبيلة، تهدف إلى بناء حضارة إنسانية متكاملة من جميع الجوانب الروحية والمادية، ولذا فالثقافة الإسلامية تقدم منهجا متكاملا وتصورا صحيحا يسمح للإنسان أن يعيش في هذه الأرض حياة طبية آمنة مستقرة، بشرط أن لا يخالف ذلك المنهج الرباني الذي يعد بمثابة سنن ونواميس إلهية تحكم الحياة، وأي مخالفة تحدث في هذا الجانب يؤدي إلى خلل في حياة الإنسان في هذا الكون، وعليه فإن جميع المصائب التي تعتري الإنسان في هذا الكون وتعكر صفوة حياته وما يترب عليه من إفناء وجود هو من صنع الإنسان، وبناء على ذلك يقع إهلاك الأمم السابقة.

أولاً - النتائج:

لقد توصلت الباحثة إلى عدة نتائج ومن أهمها ما يلي:

١. أن الثقافة الإسلامية خزانة كبيرة لأخبار الأمم السابقة والحضارات البائدة.

٢. مراعات السنن والنواميس الإلهية سبب من أسباب قيام الحضارات أو زوالها.

٣. الدين عامل من أسباب البقاء؛ لأنه طاعة، والكفر سبب من أسباب الزوال؛ لأنه تمرد وعصيان.

٤. التوحيد الله سبحانه عامل من عوامل التطور، فهو يورث العلم ويرشد إلى العمل، بينما الشرك عامل من عوامل التخلف فهو يقتل التفكير ويسبب الكسل والدعة.

٥. الخير باق في الأمة الإسلامية؛ لأن فيها بذرة الديمومة والبقاء، وهي قادرة على أن تقوم بدور القيادة والريادة.

ثانياً - التوصيات:

١. إعطاء مزيد من الاهتمام بالموضوعات التي تتعلق بالحضارة في البرامج والمناهج الدراسية.

٢. تخصيص دورات علمية مكثفة لدراسة الموضوعات التي تتعلق بالحضارة، وبيان دور الإسلام لإنقاذ الحضارة العصرية المادية من الزوال والفناء.

فهرس المصادر والمراجع

١. أزمة الثقافة في المجتمع الإسلامي المعاصر ودور التربية الإسلامية في حلها، إنصاف أكرم مندورة، جامعة أم القرى، قسم التربية، ١٤٠٦هـ.

٢. أسس النهضة الراشدة، أحمد القصص، طرابلس – لبنان،ط ١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٣. الإسلام والحضارة الغربية: المؤلف: محمد محمد حسين، دار الفرقان، د.ط.

٤. أضواء على الثقافة الاسلامية، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة،ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط ١، ١٤١٨هـ.

٦. بناء المجتمع الإسلامي، نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م.

٧. تاج العروس، دار الفكر – بيروت،ط١، ١٤١٤ هـ.

٨. تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٩. التحرير والتنوير، بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ.

١٠. التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

١١. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

١٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م).

١٣. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط١، ٢٠٠١م.

١٤. الثقافة الإسلامية تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، مصطفى مسلم فتحي محمد الزعبي جامعة الشارقة، إثراء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.

١٥. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة، ط١.

١٦. الحضارة الغربية على شفا جرف هار، مصطفى فوزي غزال، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

١٧. دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق السعدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

١٨. سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٩. سنن الترمذي، الترمذي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥.

٢٠. السنن الصغير، البيهقي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢١. السنن الكبرى، النسائي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٢. شرح تنقيح الفصول، القرافي، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣.

٢٣. شعب الإيمان، البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ).

٢٤. الصحاح، الجوهري، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٥. صَحِيحُ البُخَارِي، البخاري، دار الشعب – القاهرة، ط ١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٢٦. صحيح مسلم، دار الجيل – بيروت، ١٣٣٤ هـ.
٢٧. الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
٢٨. الفوائد، تمام الرازي، مكتبة الرشد – الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ.
٢٩. القُرآنُ الكريمُ في مواجهِةِ الجاهليَّة، علي بن نايف الشحود، ط ١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠.
٣٠. قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، دار الجيل لبنان بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.
٣١. كتاب الأفعال، الصقلي، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٣٢. مجمل اللغة لابن فارس، بن فارس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٣٣. مجموع الفتاوى، بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٣٤. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
٣٥. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، مكتبة الآداب - القاهرة / مصر،ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٦. معجم مقاييس اللغة، بن فارس، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٧. منهج الثقافة الإسلامية لطلاب الجامعات اليمنية في ضوء حاجاتهم ومتطلبات عصر العولمة، الباحث: عبد السلام عبده قاسم المخلافي، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة عين شمس مصر القاهرة، ٢٠٠٦م.

فهرس الموضوعات

موجز عن البحث ٨٨٢

مقدمة ٨٨٤

التمهيد ٨٨٩

الفصل الأول : أسباب زوال الحضارات في ضوء الثقافة الاسلامية ٨٩٥

المبحث الأول : أسباب زوال الحضارات من خلال القصص القرآنية ٨٩٥

المبحث الثاني : أسباب زوال الحضارات من خلال التوجيهات المباشرة للأمة الإسلامية... ٩٠٢

المبحث الثالث : أسباب زوال الحضارات عند ابن خلدن ٩٠٧

الفصل الثاني : أسباب بقاء الحضارات في ضوء الثقافة الإسلامية ٩٠٩

المبحث الأول : أسباب بقاء الحضارات من خلال القصص القرآنية ٩٠٩

المبحث الثاني :أسباب بقاء الحضارات من خلال التوجيهات المباشرة للأمة الاسلامية ٩١٢

المبحث الثالث : أسباب بقاء الحضارات عند ابن خلدون ٩١٣

الفصل الثالث : إلى أين يتجه إنسان القرن الحادي والعشرين بحضارته المعاصرة؟ ٩١٦

المبحث الأول : أثر الخروج عن شريعة التعامل بالإحسان في زوال الحضارات ٩١٦

المبحث الثاني : السنن والنواميس الإلهية لبقاء الحضارات الإنسانية ٩٢١

الخاتمة ٩٣٠

فهرس المصادر والمراجع ٩٣٢

فهرس الموضوعات ٩٣٥